

البداية والنهاية

أمره ما بدا لكم فاقبل النصر وعقبة حتى قدما على قريش فقالا يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور فاجبراهم بها فجاء رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد أخبرنا فسأله عما أمروهم به فقال لهم رسول الله ﷺ أخبركم غدا بما سألتكم عنه ولم يستثن فأنصرفوا عنه ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث له في ذلك وحيا ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه وحتى أجزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ثم جاءه جبريل عليه السلام من الله ﷻ بسورة الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم [وخبر] ما سأله عنه من أمر الفتية والرجل الطواف وقال الله ﷻ تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا وقد تكلمنا على ذلك كله في التفسير مطولا فمن أراد به فعله بكشفه من هناك ونزل قوله أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ثم شرع في تفصيل أمرهم واعترض في الوسط بتعليمه الاستثناء تحقيقا لا تعليقا في قوله ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله ﷻ واذكر ربك إذا نسيت ثم ذكر قصة موسى لتعلقها بقصة الخضر ثم ذي القرنين ثم قال ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا ثم شرح أمره وحكى خبره وقال في سورة سبحان ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي أي خلق عجيب من خلقه وأمر من أمره قال لها كوني فكانت وليس لكم الاطلاع على كل ما خلقه وتصوير حقيقته في نفس الأمر يصعب عليكم بالنسبة إلى قدرة الله ﷻ تعالى وحكمته ولهذا قال وما أوتيتم من العلم إلا قليلا وقد ثبت في الصحيحين أن اليهود سألو عن ذلك رسول الله ﷺ بالمدينة فتلا عليهم هذه الآية فاما أنها نزلت مرة ثانية أو ذكرها جوابا وإن كان نزولها متقدما ومن قال إنها نزلت بالمدينة واستثنائها من سورة سبحان ففي قوله نظر والله أعلم .

قال ابن اسحاق ولما خشي أبو طالب دهم العرب أن يركبوه مع قومه قال قصيدته التي تعود فيها بحرم مكة وبمكانها منها وتودد فيها إشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في شعره أنه غير مسلم لرسول الله ﷺ ولا تاركه لشيء أبدا حتى يهلك دونه فقال ... ولما رأيت القوم لاود فيهم ... وقد قطعوا كل العري والوسائل ... وقد صارحونا بالعداوة والأذى ... وقد طاوعوا أمر العدو المزاييل ... وقد حالفوا قوما علينا أطنة ... يعضون غيظا خلفنا بالأنامل ... صبرت لهم نفسي بسمرء سمحة ... وأبيض غضب من تراث المقاول ... وأحضرت عند البيت رهطي وأخوتي ... وأمسكت من أثوابه بالوصل

